مايكل إريك ديسون

مـايكل إريك ديسـون أسـقف مـرسّم في الكنيـسـة المعـمـدانيـة وأسـتـاذ علوم الإنسانيات في مؤسسة آفلون، وأستاذ الدراسات الدينية والدراسات الإفريقية في جـامـعـة بنسلفـينيـا. وله عـشـرة كـتب، منهـا: صناعـة مـالكوم: أسطورة ومـدلول مـالكوم إكس (أكسفـورد يونيفـرسيتي برس، 1996)، وكـتـاب قد لا أصل مـعكم إلى هنـاك: مـارتن لوثر كينغ الأصـغـر الحـقـيـقي، (فـري برس، 2001)، و كتاب ارحمني ارحمني:الفن والحب والشياطين في أعمال مارفين غي (بيسك سيفيتاس بوكس، 2004).

جـيـرمي إيرب: مـا رأيك بـالطريقـة التي تعـاملت فـيـهـا إدارة بوش مـع أحداث 11 سبتمبر؟

أعتقد أن إدارة بوش قد استغلت حالة الخوف التي تولدت بفعل أحداث 11 سبتمبر لتحقيق أهداف سياسية لمصلحتها. وفي الوقت الذي أكدت فيه الإدارة التزامها بعدم تسييس الحادثة، إلا أنها فعلت العكس وسيّست الأحداث بشدة وعلى مختلف المستويات. خذ على سبيل المثال قانون الوطني. إذ يفترض في هذا القانون أن يعمل على تعزيز الديمقراطية، إلا أنه في واقع الحال يهدم مبادئها الأساسية التي أُعلنت من أجلها ولحمايتها الحرب على الإرهاب. أليست هذه الحرب إلا لحماية القدرة على قول الحقيقة كما نشاهدها كمواطنين أمريكيين وبصرف النظر عن توجهاتنا السياسية أو الأيديولوجية التي نؤمن بها؟ لذلك، إذا كان الهدف من شن الحرب على الإرهاب هو حماية مقدرتنا على الوقوف وإبداء رأينا، فإنه لا يجوز لنا في الوقت نفسه أن نشعر بالغضب تجاه الأفراد الذين

obeikandi.com

يرون فجوة منتنة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية. وينبغي أن لا نُتّهم بعدم الوطنية إذا عبّرنا عن وجهة النظر هذه. لقد شاهدنا ذلك من قبل حين واجه مارتن لوثر كينغ(*) حالة مماثلة في قضية فيتنام؛ وواجه أصحاب الفكر السياسي التقدمي الشيء نفسه في كل مرة كانوا يرفعون فيها أصواتهم في وجه الظلم.

وعلى هذا المنوال، فإن هذا الإحساس الأمني المتصاعد، والألوان التي خصصناها لمستوياته المتدرجة يتطابق ويتناغم، وعلى نحو يثير الريبة والشك، مع الأجندة المحلية التي ترغب إدارة بوش بالتركيز عليها أو بصرف الاهتمام عنها. لذلك فإنه في كل مرة يتركز فيها النقاش حول الاقتصاد المتلكئ في ضوء عجز إدارة بوش عن إنعاشه، فإننا نلحظ تصعيداً مريباً في حالة التأهب من خطر هجمات إرهابية.

أعتقد أن من المهم ملاحظة أن إشاعة الخوف بين الناس عقب 11 سبتمبر هي أمر مضر بالمجتمع الأمريكي لأن فيها رفض للاعتراف بأن حرياتنا المدنية هي شريان الديمقراطية الأمريكية. وأنا لا أعني المغالاة والمبالغة في الحريات المدنية إلى درجة نتجاهل معها القلق من الإرهاب. إننا لا نمانع من زيادة وتشديد الإجراءات الأمنية في المطارات بغية التأكد من سلامة الجميع قبل السفر. وبغض النظر عن أيديولوجياتنا، والتزاماتنا، ومعتقداتنا، فإننا في النهاية نرغب في أن نكون بأمان. إلا أننا نمانع ونعترض على هدم الهيكل الأساسي لحرياتنا المدنية، ونرفض كذلك التنازل عن حريتنا في التعبير وقدرتنا على انتقاد إدارة

(*) مارتن لوثر كينغ الأصغر (1929–1968) أسقف معمداني وأحد أبرز قيادي حركة المطالبة بالحقوق المدنية ومناهضة التميز العنصري ضد السود في الولايات المتحدة. كان ينتهج الأسلوب السلمي في المعارضة والمطالبة بالتغيير. حصل على جائزة نوبل للسلام عام 1964. وجهت إليه انتقادات داخل الحركة بمهادنة الحكومة أثناء قيادته بعض المظاهرات. وكان من معارضي حرب فيتنام. اغتيل في الرابع من إبريل على يد جيمس إيرل ري. (عن الموسوعة البريطانية بتصرف).

بوش. إن استهداف الحريات المدنية بحجة محاربة الإرهاب هو أمر في غاية السخف. وأعتقد أن هذه الغطرسة التي مورست ضد الشعب قد أثارت - بحق- الشكوك لدى الناس حول التلاعب بالخوف الذي أعقب 11 سبتمبر.

جيرمي إيرب: من الأمور التي نسعى إلى توضيحها في هذا المشروع، مسألة الفجوة النوعية بني الذكور والإناث في السياسات الأمريكية. وبخاصة جانب الذكور من هذه الفجوة والتي قلما يتم التعرض لها مباشرة. هل لديك أي تفسير للتحوّل المضطرد للذكور البيض من الطبقة العاملة نحو مرشحي الحزب الجمهوري مع العلم أن الحزب الجمهوري لا يقف موقفاً ودياً تجاه معظم القضايا التي تهمهم؟ هل هناك شيء يفهمه الحزب الجمهوري والمنظرون السياسيون لجورج بوش حول الأصل العرقي وحول الرجولة بحيث يمكنهم من توسيع هذه الفجوة لصالحهم؟

ثمة تلاحم على الأقل بين هذه المسائل الثلاث. وأعتقد أن قضايا العرق والهوية تؤثر تأثيراً بارزاً على الأفراد من الجنس الأبيض في السلطة أينما كانوا - وحتى حين يتعلق الأمر بأشخاص من الجنس الأبيض لا يقومون بعملهم على الوجه المطلوب، لأن البديل هو أن يأتي أشخاص من العنصر الآخر ويسيطروا على الأمور. وطبعاً لن يسمحوا بذلك لأنهم سيفقدون امتيازاتهم.

القضية الثانية هي قضية الفارق بين الذكور والإناث. ونحن نتحدث عن الرجال البيض، وليس من الضروري أن يكون الواحد منهم عضواً في حركة تدعم قضايا الرجال يدق من خلالها الطبول في عطلة نهاية الأسبوع لدعم تلك القضايا، فهو على الأقل يدق طبول هذه النزعة العسكرية التي تغذي إحساسه بالأمن. وقد عمد الجمهوريون عن طريق التركيز على الجانب الذكوري وبأسلوب خبيث وخادع على إيجاد إحساس عام لدى معظم الرجال بأن سياساتهم تتعلق

"بالرجال الحقيقيين"، وأنه قد حان الأوان "للرجال الحقيقيين" أن يتقدموا إلى الأمام ويتحملوا مسؤولياتهم. وكفانا تخنثاً وضعفاً، لأن جورج بوش يمثل إعادة إحياء الرجل الأمريكي. إنه واحد من بيننا. فهو لا يتحدث بفصاحة، وتخرّج في جامعة ييل بمعدل دون المتوسط. وباعترافه الشخصي كان مدمناً على الكحول إلى أن بلغ الأربعين من عمره وحصل على أول وظيفة له. وهو ربما لا يسوق حافلة "البك أب" إلا عندما يذهب من بيته إلى المزرعة، إلا أنه شخص عادي مثلنا. إذن، هناك قواسم مشتركة كثيرة معه. حتى وإن كانت ظروفك تختلف عن ظروفه وأحواله.

أما القضية الثالثة فهي مسألة البعد الطبقي. وأعتقد أن الجمهوريين استغلوا الطبقة العاملة والطبقة الفقيرة أبشع استغلال وبطريقة خبيثة، وبخاصة فئة الرجال البيض من الطبقة الوسطى. وهم فئة يطغى عليهم شعور بأنهم مستهدفون. فقد أدت التشريعات التي سنت لتعزيز دور الأقليات وبخاصة السود والمرأة إلى الإضرار بمصالحهم وامتيازاتهم. وهذه التشريعات تلقى التأييد من المرأة ومن السكان السود وذوي الأصول اللاتينية، ولهذا فإن الرجال البيض يشعرون بالحيف من تلك الإجراءات. وهذا الشعور هو امتداد للشعور بالامتعاض الذي تجده لدى تمثي ماكفيه(*). ولا أعني أن هذه الشريحة هم على شاكلة تمثي ماكفيه. ولكنك حين تسمع حتى هاورد دين(*) يقول بأن على الحزب الديمقراطي

(*) جندي سابق في الجيش الأمريكي، اتهم بتفجير بناية تسمى (ألفرد موراه) تضم عدداً من الوكالات التابعة للحكومة الفدرالية في مدينة أوكلاهوما ستي عام 1995 أودى بحياة 168شخصاً. وصدر بحقه حكم بالإعدام عام 1997ونفذ عام 2001.(عن موسوعة إنكارتا بتصرف)

(*) هاورد دين (1948-) طبيب وسياسي أمريكي، شغل منصب حاكم ولاية فيرمونت منذ عام 1991 حتى 2003. دخل عام 2002 حلبة السباق لنيل ترشيح الحزب الديمقراطي للانتخابات الرئاسية لعام 2004 وعلى الرغم من تقدمه على منافسيه من الحزب الديمقراطي (كيري وإدوارد) في بداية الحملة إلا أن حجم التأييد له تراجع بشكل متسارع فخرج من السباق ليرأس الحزب الديمقراطي. وقد كان من أشد المنتقدين للحرب على العراق وللرئيس بوش أثناء حملته الانتخابية. (إنكارتا بتصرف).

أن يسعى إلى استعادة أبناء الطبقة الكادحة، الذين يسوقون حافلات "البك أب" ويرفعون علم تحالف الولايات الجنوبية في الحرب الأهلية، إلى صفوفه. فإن ذلك هو محاولة من هاورد دين لتوظيف مشاعر السخط لدى هذه الطبقة لصالح الحزب الديمقراطي. وهي سياسة أحسن الحزب الجمهوري استغلالها أيما استغلال. لذلك أعتقد أن هذه الأمور الثلاثة مجتمعة سمحت لهم باستغلال هذا السوق الطبيعي.

جيرمي إيرب: أنت قس معمداني. وسبق لكم أن تحدثتم حول تدين بوش، وحول إنجيليته. هل لك أن تحدثنا بالمزيد عن ذلك، وبخاصة إن كنت ترى أن هذا التدين ترك أثره على سياساته وعلى أسلوبه في معالجة المشاكل؟

لا شك أن للمذهب الإنجيلي والبروتستانتي تأثير كبير على فهمه الشخصي للسياسة الداخلية والسياسة الخارجية. وأعتقد أن بوش يشعر بنداء إلهي لحماية المُثل الأمريكية. إذن، نحن أمام اندماج بين الأيديولوجية والدين، وليس بمقدورنا التأكد على نحو قاطع من أن العقيدة الدينية ستطغى على الأيديولوجية السياسية، ولو حدث ذلك فعلاً، فلا نعلم إن كان لذلك أي ميزة، نظراً لأن الجانب الديني كان دائماً متأثراً تأثراً عميقاً وشديداً بشعور من الاندفاع التبشيري للانضمام إلى مساعي تحقيق الإمبراطورية.

هناك قصة قديمة تعرفها شعوب كثيرة حول العالم تقول: عندما جاءنا الأمريكان، كان معهم الإنجيل، وكانت الأرض لنا. فطلبوا منا أن نصلي. ولما فتحنا أعيننا أصبحت الأرض معهم والإنجيل معنا. ويعتمد هذا الدافع التبشيري الذي ينشر العقيدة، ويعمل على تغذية المذهب الإنجيلي، على قيام المبَشّرين بتغيير دينهم. عليّ أن أوصل رسالة يسوع إليك، وحتى يمكنني إيصال رسالة المسيح إليك، يتحتم عليّ أن أغيّر دينك. ولكي أقنعك بتغيير دينك يتحتم عليّ أن أقول

لك حقيقة ما يحدث في العالم. وبهذا المعنى هناك علاقة بين السياسة والدين؛ وبهذا المعنى أيضاً، فإن السيد بوش قد تأثر تأثراً عميقاً بهذا الحافز التبشيري الذي يدفعه إلى الانطلاق نحو العالم ليدعوهم إلى المذهب الأمريكي.

أمّا كيف ينعكس هذا الأمر على الصعيد الثقافي فذلك أمر مخيف، لأننا أمام عقلية تقسم العالم إلى معسكرين "نحن" و"هم". في نوع من التشويه المانوي في تقسيم العالم. وما الفكرة القائلة بأن "الآخر" هو حليف للشر- محور الشر- إلا صورة من صور التشدد الإنجيلي. إلا أن الشيء الملفت هو أن هناك أبعاداً أخرى من الدين يمكن أن تكون حجة عليه. ويمكن لأي عالم لاهوت أو مبشّر أن يقول، حسناً، وماذا عن فكرة أن الخطيئة معنا وليست فقط عند الطرف الآخر. وماذا عن فكرة أننا جميعاً أخفقنا في الوصول إلى مجد الرب. وماذا عن حقيقة أننا عندما نفكر بالشر والإثم، يا سيد بوش، فإنه ليس شيئاً موجوداً هناك فقط، وإنما هو شيء يغوينا نحن أيضاً. إنك لا تجد شيئاً من هذا القبيل في خطاب بوش. ومن المؤسف أنه نجح – بمكر ودهاء- في استغلال معتقداته الإنجيلية الدينية بأسلوب جعل الناس يتفقون معه حتى وإن كانوا ينتمون إلى مذاهب تختلف عن مذهبه. وفي الوقت الحاضر انكمشت الانقسامات الطائفية الإنجيلية وأصبح لدى الناس استعداد لوضع شكوكهم جانباً وإنكار أي مخاوف مشروعة لديهم والسماح للسيد بوش بفرض آرائه الدينية علينا بطريقة مخيفة، لأننا نتفق معه في أن هذه المعركة هي معركة فاصلة بين الخير والشر؛ إنها معركة بين الذين يحاولون تدميرنا، وبين الذين يقفون في صفنا. أعتقد أنه نجح في استغلال الخوف الذي تولد لدى عامة الناس بعد 11 سبتمبر واستعماله لدفع أجندته الدينية بطريقة ضمنية تارة، وعلنية تارة أخرى.

جيرمي إيرب: قد يقول قائل بأن الأمرين سواء، وأن الأمة الأمريكية أمة تخشى الرب، وأنها أنشئت على هذا الأساس في الأصل، وأن انتقاد

obeikandl.com

تدين بوش يعد انتقاداً لأمريكا نفسها. هل تلاحظ تياراً معاكساً، رؤية أخرى لأمريكا دون فقدان هذا الحافز الديني؟

الخطأ الذي يقع فيه كثير من الناس هو أنهم يخلطون بين تاريخ التدين الأمريكي والإمبراطورية الأمريكية. فمثلاً لو دققنا النظر في توماس جفرسون وبنجامين فرانكلن لوجدنا أن نصرانية هؤلاء تختلف عن النصرانية التي نشاهدها في جورج بوش. إن هذه الأمة ليست أمة نصرانية بالمعنى الذي يراه الناس من أن هؤلاء المؤسسين كانوا يدعون إلى الدين بشكله النصراني لتوحيد الثقافة. وما قاله بنجامين فرانكلن هو أنه إذا كان الدين، أي دين بشكل عام، شيئاً حسناً للأمة لأنه يوحدها ويخلق نوعاً من التوافق بيننا كي تقوم الدولة، فبها ونعمت. ولم يكن يدعو إلى أي شكل من أشكال النصرانية. وربما كان لدى توماس جفرسون قناعاته الخاصة حول الكتاب المقدس، ولكن لو عاين الناس اليوم ما كان جفرسون يرى ما يجب أخذه من الكتاب المقدس وما يجب تركه لأصيب معظم النصارى بالصدمة. ولما اعترفوا بذلك الإنجيل الذي يراه. لذلك، فقد دلّست علينا أشد العناصر اليمينية تطرفاً في الكنيسة الإنجيلية لحملنا على الاعتقاد بأن أمريكا هي أمة نصرانية، في حين أن الحقيقة هي خلاف ذلك.

وعندما نفكر بما حدث في السابق، فإن ملّاك الرقيق كانوا يتوجهون إلى إفريقية. كانوا يذهبون إلى هناك لتخليص الوثنيين من وثنيتهم وبعدهم عن المسيح لجلبهم إلى العالم الجديد، ثم ماذا حصل؟ أصبحوا رقيقاً في المزارع الأمريكية. لذلك فإننا دائماً نجد هذا التزاوج بين الأيديولوجية الأمريكية والإمبراطورية الأمريكية. لقد كان توسع الهيمنة الأمريكية مصحوباً دائماً بمسوغات دينية. ويمكننا مشاهدة هذه الظاهرة بكل بوضوح في محاولات جورج بوش إخضاع سياساته المحلية والخارجية لمعتقداته الدينية. وهذا التوجه لا

يعكس سوى شريحة ضيقة من المذهب الإنجيلي ينبغي الإشارة إليه. لأن هناك أعداداً كبيرة من التقدميين المنخرطين في التفكير الإنجيلي ممن يعارضون السلطة القائمة ويصوغون الحجج ضد حصر مملكة الرب في هوية دولة محددة هي اليوم الولايات المتحدة الأمريكية. إن هذه الفكرة القائلة بأن أمريكا كانت من اختيار الرب هي فكرة فظيعة. ويمكن للمرء أن يصفها بخطيئة تحديد الأمة بإرادة الرب. وهذا في منتهى السخف، إلا أن هذه الأصوات، مع شديد الأسف، لا يصغي إليها أحد في هذا المجتمع.

جيرمي إيرب: هناك أعداد كبيرة من الناس الذين يقولون بأنه لا يوجد شيء اسمه الإمبراطورية الأمريكية، وأن هذه الفكرة فكرة ساذجة، وتشكل سوء فهم كبير لطبيعة وتاريخ الإمبراطورية. هل لك أن توضح لنا لماذا اعتبرت الولايات المتحدة إمبراطورية، وما تعنيه بذلك؟

عندما أقول بأننا أمام إمبراطورية أمريكية فإن ما أعنيه هو أن قوى الهيمنة تعطي الأمة شعوراً بالغضب المبرر ضد أعداء أمريكا. والجانب الإيجابي من الإمبراطورية الأمريكية هو أن تكون "العربيد" و "الشرطي" في وقت واحد لكي تفرض على الأمم الأخرى وجهة نظرك الأخلاقية انطلاقاً من اعتقادك الشخصي بأنك أتقى من الآخرين وأقوم أخلاقاً منهم. وما أعنيه بالنظرة القائمة على الاعتقاد الذاتي بأننا أسمى تقى وأخلاقا من الآخرين هو أننا نشعر في ظل حمايتنا للمبادئ الديمقراطية، أننا نملك الحق في مقاومة ومعارضة المبادئ غير الديمقراطية حول العالم، وعندما نشاهد تصاعد هذه القوى غير الديمقراطية فإن مسؤولية القضاء عليها تقع على عاتقنا. لذلك فإن الإمبراطورية من وجهة نظري تعني المقدرة على فرض إرادتك على بقية العالم والرغبة في فعل ذلك استناداً إلى استعلائك الإيماني والأخلاقي على الآخرين.

وهناك شيء آخر ملفت للنظر حول الإمبراطورية، وهو القدرة على إنكار حقيقة أننا إمبرياليون. لذلك فإن إحدى المفاهيم الأولية للإمبراطورية هو القدرة على أن يكون لدينا مقدرة معقلنة من الإنكار: نحن لسنا إمبراطورية؛،نحن أمة مهتمة بمحبة جيراننا. إننا نتعاون مع الآخرين ومع الأمم الأخرى حول العالم. هذا الإنكار الذي يبدو مقبولاً في الظاهر، هو أحد العناصر المهمة في الإمبراطورية. ويشابه النقاش الدائر هذه الأيام حول العلاقات الإثنية: وهو أنك إذا كنت تعيش في بيئة وثقافة متجانسة مع الجنس الأبيض، فإنك لا تجد نفسك تتأمل صفتك هذه. ولا يحدث ذلك إلا إذا شعرت بشيء يشكل تحدياً لتلك الصفة- حتى يبدأ الأسود، أو البني، أو الأحمر، أو أي شخص من إثنية مختلفة بإظهار ما يعنيه الأبيض- عندها تبدأ تدرك (أ) أنك أبيض؛ و (ب) أن لديك امتيازات مرتبطة بكونك أبيض؛ و (ج) أن عليك أن تبدأ بفعل شيء تجاه هذا الوضع، وإلا فسوف تتبدد هيمنة الجنس الأبيض. والآن استبدل "أبيض" في المثال الذي ذكرناه بالإمبراطورية وسترى كيف تعمل الإمبراطورية.

أولاً، أنت جزء من الإمبراطورية عندما تملك القدرة على إنكارها، وثانياً، هذه القدرة على الإنكار والمشوبة بأسباب عقلانية قابلة للتصديق، ترتبط بأشكال من الامتيازات التي قلّما يشكك في شرعيتها أحد. ثالثاً، منذ عام 1945، عندما ظهرت الولايات المتحدة كقوة عظمى، ونحن نشعر بأننا نملك الحق في التوجه إلى أي مكان في العالم للقيام بأعمال باسم الأقل حظاً من الناس والأمم الذين لا يملكون ما يكفي من القوة، والمهارة، والجيش للدفاع عن أنفسهم. الإمبراطورية، بالنسبة لي، هي تركيز القوة والسلطة، وقدرة الدولة على فرض إرادتها على الآخرين بحسب منظورها الأخلاقي.

والآن، هل يختلف ذلك عما كان يحدث من قبل؟ لقد أدت الظروف إلى جعل ما يحدث الآن يختلف عما كان يحدث في السابق. فنحن أمام إمبريالية جديدة.

والولايات المتحدة هي إمبراطورية جديدة. وقد أدت ظروف العولمة إلى وضع الخطاب حول الإمبراطورية في صيغة مختلفة؛ فنحن الآن نعيش في عالم يرتبط بعضه ببعض بروابط وثيقة نتيجة للإنترنت وانهيار الاقتصاد المحلي. فلدينا الآن شركات متعددة الجنسيات، وتجمعات لشركات عملاقة، ويمكنك أن تجد شركة ألمانية تمتلك شركة أمريكية لنشر الكتب، إذن، هناك نوع من الاختلاط الأيديولوجي. وبهذا المعنى، أثرت العولمة على الإمبراطورية بطرق دقيقة مختلفة. إلا أنها لم تستطع أن توقف القدرة الأمريكية على تنصيب نفسها إمبراطورية بسبب القوة العسكرية الأمريكية. فهي،]أي الولايات المتحدة [لديها الموارد والأسباب لتعلن بأننا إذا رأينا شيئاً ننكره، فإننا على استعداد لخوض الحرب للقضاء عليه. وهذا المذهب الجديد من التدخل النشط يختلف عن مذهب العزلة الذي كان يثير حفيظة الناس من قبل. فنحن الآن مستعدون للعمل بمفردنا، ومستعدون لأن نقول للملأ بأننا إذا رأينا شيئاً ما يشكل مشكلة لنا، فإننا على استعداد لتوجيه الضربة الأولى.

جيرمي إيرب: لو ذهبت إلى الموقع الخاص لجورج بوش على الإنترنت، فستجد عدداً من ملفات الصور المخصصة لدعم أفكار معينة تقوم عليها حملته الانتخابية ونهجه الرئاسي: السياسية الخارجية، الأمن القومي، الخ. ومن بين هذه الملفات ملف يحمل اسم الشفقة والحنان"، وفي كل الصور الموجودة في هذا الملف تقريباً يظهر بوش وحوله أناس من أصول عرقية ملونة، وتحديداً من ذوي الأصول الإفريقية. مع العلم أنك لا تكاد تجد صورة في الملفات الأخرى يظهر فيها وجه لشخص أسود. ما تقول في هذا الدمج بين الحنان والعرق؟

من الأشياء المثيرة حول تحديد السيد بوش للشفقة والحنان بالأفارقة الأمريكيين على وجه الحصر تقريباً. هو أن تفسيرهم (أي الحزب الجمهوري

ممثلاً بجورج بوش) لذلك هو أنهم يمدون يدهم إلى فئات المجتمع المختلفة دون استثناء، وذلك في ظل التهم الموجهة إلى الحزب الجمهوري بعدم اكتراثه بمصالح الأقليات اللاتينية والأفارقة الأمريكان، وإغلاق أبوابه أمامهم. هذا من جانب. وهو جانب التفسير الإيجابي الخيري. أما الجانب السلبي والمريب، وهو ما يعكس الحقيقة برأيي، فيتمثل بوجود نوع من التعالي في هذا الموقف. ولا يقتصر الأمر على التلاعب بقضية العرق والإثنية، بل هناك نوع من ترسيخ العزل والقوقعة على السكان السود. فالسود يصلحون فقط حين نريد التحدث عن الرحمة والشفقة والحنان، وعن مد اليد إليهم لكي نحسّن من أحوالهم وظروفهم، ما دمنا نسيطر على الحزب الجمهوري وعلى الوسائل التي توزع من خلالها تلك الرحمة. والمشكلة في هذا الموقف هو أنه لا يفسح أي مجال أمام هؤلاء الناس في: أ) التعبير عن معارضتهم لهذا الحنان الذي يوزع عليهم، و ب) أنها توحي بأن الأشخاص السود ليس لهم أي مصلحة شرعية أو اهتمام في الحقول الأخرى من السياسة الخارجية والسياسة الداخلية.

وعندما تحول مارتن لوثر كينغ الأصغر من الحديث عن الحقوق المدنية وبدأ بالتحدث عن السياسات الداخلية وعلاقتها بالفقر، وبخاصة عندما بدأ يتحدث ضد الحرب في فيتنام، شعر أناس كثيرون بأنه بدأ يتجاوز الحدود الطبيعية لما يمكن للشخص الأسود أن يتحدث به. وسياسات الشفقة والحنان تفرز هذا السيناريو. وفي اللحظة التي بدأ فيها الدكتور مارتن لوثر كينغ يفقد احترامه بسبب وقوفه ضد الحرب في فيتنام، لم يعد يقال لهم الدكتور الموقر كينغ - بل أصبح واعظاً سريع الغضب ولا يملك أي خبرة للتحدث في هذه القضايا. وربما أعطاه حصوله على جائزة نوبل للسلام عام 1964 بعض الشرعية الأخلاقية في التحدث ضد الحرب كما يراها من وجهة نظره. لذلك، ومن هذا المعنى، هناك تواصل في تلاعب الجمهوريين بالحنان الذي قد يبدو شيئاً حسناً على السطح،

إلا أن أسفلها نوع من التعالي الذي برع السيد بوش في التلاعب به. ومن الجانب الآخر، يبدو بوش وكأنه يمد يده إلى هذه الشريحة الاجتماعية القيّمة، إلا أن ما يفعله حقيقة هو إعادة عزلهم داخل "الغتو": فأنتم لا تصلحون إلا حين نريد أن نقول للمجتمع الأمريكي بأننا نهتم بشأن "الأدنى من هؤلاء". إلا أن سماع ما سيقوله "الأدنى من هؤلاء"، هو أن تسمع المعارضة، وتسمع النقد، وأن تسمح لهم بالتعبير عن معارضتهم للحرب ضد العراق، وهو ما لا يسمح به. لذلك فإن هذا التلاعب والتحايل في سياسات الحنان الجديدة التي ترددها إدارة بوش ينبغي أن تخضع لتمحيص دقيق من وجهة نظري.

جيرمي إيرب: كيف كان سجل بوش تجاه مسألة العرق، من وجهة نظرك؟ هل تجده يختلف عن الرؤساء السابقين في تعامله مع القضايا الخاصة بالعرق والإثنية في هذا البلد؟

إنني متأكد بأنك لو كنت من أصل إفريقي، وكنت تسكن إلى جوار السيد بوش، فإنه سيكون لطيفاً في تعامله معك، وسيقدم لك المساعدة في حمل القمامة إلى الحاوية، وفي إزالة الثلج المتراكم على مدخل منزلك. ليس لدي شك في أنه شخص طيب القلب، ولكن هذا لا يعني الكثير حين يتعلق الأمر بالسياسة العامة التي تخص المجتمع. وبالنسبة لي، فإن قيام السيد بوش قبل عام بالإعلان في ذكرى مولد مارتن لوثر كينغ عن معارضته الشديدة للسياسات الرامية إلى تحسين فرص وأوضاع المرأة والأقليات يكشف عن استعداده للتلاعب واستغلال سياسات التعاطف مع الأقليات العرقية لمصلحته الخاصة، في الوقت الذي لا يولي فيه أدنى اهتمام لمصالح الأفارقة الأمريكان. وتسعى إدارته إلى تطبيق سياسات صارمة ضد جهود تحسين أوضاع الأقليات منذ تسلمه السلطة. حيث وقفت هذه الإدارة إلى جانب الأشخاص الذين رفعوا دعوى قضائية ضد سياسات القبول في جامعة ميتشغان]التي تخصص نسبة من المقاعد لأبناء

الأقليات العرقية ومن بينهم الأفارقة الأمريكان) والذين يسعون إلى إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء. إن السيد بوش يقف موقفاً عدائياً تجاه السياسات التي تقدم أفضلية في التعامل تجاه الأقليات لتحسين أوضاعهم، في الوقت الذي استفاد هو شخصياً من توسط أبيه له من أجل تأمين قبوله في جامعتي هارفارد و ييل، ثم يطلع علينا متفاخراً بكونه كان طالباً بمعدل (ج). ولسنا ننكر أنه يجيد التحدث بلغة الملك، ولكن ليس بحسب ذوق الملكة. فهو يخلط الحابل بالنابل. ولا يقتصر الأمر على عدم اتساق الأفعال مع الضمائر في حديثه، بل هناك تعمد في التحدث بهذه الطريقة لكي يبدو أمام الناس بأنه شخص عادي من عموم الناس. والناس يقولون "إن عباراته المثيرة للضحك هي دليل على أنه واحد من بيننا". ولكن لو تحدث بهذه الطريقة امرأة من أصل إفريقي، أو أي شخص آخر من أية عرق آخر، لقيل بأن هذا دليل على أن هؤلاء الناس ليسوا جاهزين لهذا المستوى من المعترك السياسي. لذلك فهو قادر على التلاعب بالأخطاء واستخدامها ولكن لو ارتكب أشخاص سود مثل هذه الأخطاء اللغوية لاستخدم ذلك دليلاً على افتقارهم إلى الذكاء.

يملك السيد بوش مهارات شخصية هائلة، إلا أن سياساته الاجتماعية والعامة حين يتعلق الأمر بالعرق هي سياسات شنيعة ومنكرة. ولهذا السبب، بالمناسبة، يشعر الأفارقة الأمريكان أن بإمكانهم أن يفتخروا بأشخاص مثل كونداليزا رايس على حصولها على شهادة الدكتوراه، أو كولن باول على وصوله إلى رتبة جنرال، ولكن هناك كثير من الناس يجأرون قائلين بأن على السود أن يعطوهم فرصة. "ألست فخوراً بهم"؟ والحقيقة أننا لسنا فخورين بالأشخاص الذين يعملون على توسيع السياسات الفاشية؛ ولسنا فخورين بالأشخاص القابعين في البيت الأبيض ويعجزون عن منع الرئيس من إصدار تصريحات مناهضة لمصالح السود في ذكرى ميلاد مارتن لوثر كينغ. إننا لسنا فخورين

بالأشخاص الذين يتلاعبون بأصلهم العرقي حين يكون ذلك مواتياً لهم، ثم يقولون بأنهم يؤيدون نمطاً متعدي الأعراق من الحكم الديمقراطي. أعتقد أن السيد بوش استخدم كونداليزا رايس وكولن باول رموزاً في سياساته العرقية، وهذه السياسات، شأنها شأن هذه الرموز، لا تساهم بأي شيء يذكر في تقدم الأفارقة الأمريكان. وهو بهذه الطريقة يشابه بل كلينتون في سياساته الرمزية التي تربط بين السود وفشل أبيه في تحقيق أي شيء في حياته. وبهذا المعنى استفاد جورج بوش بمكر ودهاء من سياسات كلينتون وسياسات أبيه من قبل. وقد كان لهذا الدمج آثار مدمرة على السكان السود في الولايات المتحدة.

جيرمي إيرب: من وجهة نظرك، ما الذي سيدفع الطبقة العاملة الفقيرة من السكان البيض إلى النظر إلى أوضاعهم الاقتصادية على حقيقتها وليس من خلال المنظار العرقي؟ وقد تحدثت قبل قليل عن ذكاء الحزب الجمهوري في استخدام حيل وتكتيكات مثل إستراتيجية نيكسون في الجنوب، وتعمدهم استخدام الفروق العرقية في السكان لاستدراج الطبقة العاملة الفقيرة من البيض إلى صفوفهم؟

عندما حبس مارتن لوثر كينغ ذات مرة في سجن بيرمنغهام(*) قال لسجانيه من البيض:"هل تعلمون أنكم لا تختلفون عني كثيراً، ولا يوجد فارق كبير يفصل بيني وبينكم. فأنتم ليس لكم رأي في المؤسسات التي تحكم حياتكم. وليس لكم صوت مسموع في الديمقراطية الأمريكية، ومع ذلك، فإن القوى المسيطرة التي تؤمن بسيادة الجنس الأبيض تتلاعب بعقولكم لدفعكم إلى الاعتقاد بأنكم أعدائي". ومع الأسف، فإن هذه المأساة لم تتغير. وأعتقد أن ما ينبغي أن نقوله لإخواننا البيض من الطبقة الكادحة هو أن أحوالهم ومصاعبهم مطابقة لأحوال ومصاعب السود ومعظم ذوي الأصول اللاتينية. فهم جميعاً يعانون من الاقتصاد

(*) كبرى مدن ولاية آلاباما.

المتردي، ولو سمحتم لنخب السياسيين البيض بالتلاعب بعواطفكم وأفكاركم بحملكم على الاعتقاد بأن عدوّكم الحقيقي هو هذا الشخص الأسود الذي يعمل إلى جانبكم في المصنع- حيث يستنشق كلاكما الغازات الكيماوية السامة والتي ستتسبب في الموت المبكر لكما- بدلاً من إدراك أن العدو الحقيقي هو رموز النخبة السياسية الأمريكية أو الهيكل المؤسسي (الشركاتي) الذي يعيش على خوفك من الشخص الأسود، فإنكم ستقعون في الهاوية.

ينبغي أن نقول لهم بأننا وإياهم في قارب واحد، وأن حالنا وحالهم واحدة من حيث الطبقة الاجتماعية ومن حيث القيم الثقافية المشتركة بيننا حتى وإن كنا ننظر إليها من زاوية عرقية مختلفة. إننا بحاجة إلى إقناع الطبقة الكادحة من السكان البيض بهذا. إنه لمن العجيب حقاً أن يكون لدينا في أمريكا لغة ومصطلحات خاصة بالعرق ولكننا لا نملك لغة ومصطلحات مشابهة فيما يخص الطبقة الاجتماعية. فماذا عن الأغنياء والفقراء؟ وماذا عن الذين يملكون التأمين الصحي والذي لا يملكون تأميناً صحياً؟ ولو تحدثنا بمثل هذه اللغة لأصبح بمقدورنا تبسيط الأرقام كي نشاهد نسبة السكان البيض الذين يتلقون المعونة الاجتماعية من الدولة، وعدد السكان البيض من الفقراء. وعدد السكان البيض الذين لا يملكون تأثيراً على الحكومة في القضايا التي تهمهم. فكم مرة سمعت أحداً من البيض يقول:" أنت تريد أفضلية في التعامل، فلماذا يُقدّم ابنك عليّ؟ أو "أنتم تريدون تعويضاً عن استرقاقكم؟ فلماذا يحصل عليها ابنك ولا يحصل عليها ابني، مع أننا مثلكم لا نملك شيئاً من الأسباب الاقتصادية؟" وأنا أقول لهم إن المسألة ليست مسألة إما نحن أو أنتم. إننا جميعاً سواء في هذا.

ومما يدهشني حقاً أن الجناح اليميني من المحافظين يتحولون إلى ماركسيين حين يتعلق الأمر بالعرق. انتبهوا، خذوا حذركم، لأن هؤلاء السود يأخذون النقود من جيوبكم. فكم هو عدد السود الذين يشغلون منصب مدير عام

في أكبر 500 شركة؟ كم هو عدد السود في مجلس الشيوخ؟ كم هو عدد السود في الكونغرس؟ كم هو عدد السود في مواقع صنع القرار الذي يؤثر على حياة البيض؟ هل يخضع البيض لحكم السود؟ لذلك، عندما يرجع البيض إلى الوراء قليلاً ويبدأون بتحليل الطريقة التي يجري من خلالها التلاعب بمشاعرهم وأفكارهم على يد النخبة من الجنس البيض، فقد نكون أمام احتمال تلاحم قوي بين الطبقة العاملة التقدمية والطبقة الكادحة من البيض والسود واللاتينيين والحمر، بدلاً من استمرار النخب الشركاتية في التلاعب بالطبقة العاملة من السكان البيض.

جيرمي إيرب: لنتحول الآن إلى قضية تغيب بوش عن وظيفته في الحرس الجوي الوطني خلال فيتنام، والغموض والجدل الدائر حول خدمته أو عدمها، وأود أن أعرف إذا كنت تعتقد أن هذه القضية هي قضية مشروعة، لأن هناك كثيراً من التقدميين يرون أن مساءلة بوش حول هذه القضية يعزز الخطاب العسكري الذي يرفضه اليسار أصلاً.

ما من شك أن من غير المقبول أن يحاجج المرء من طرفي النقيض، أو كما يقول المثل الدارج "لا يمكنك أن تأكل الكعكة وتقدمها للآخرين في وقت واحد". لقد ضخم السيد بوش سجله الحافل بخدماته وقت الأزمات. "لقد كنت هناك، على خط المواجهة. أنا الرجل الذي يعتمد عليه." إلا أنه تبين لنا فيما بعد أنه لم يكن كما قال. وسبب تركيزنا على هذه القضية هو أنها تعيد الفكرة القائلة بأن الرجولة بحاجة إلى من يدعيها بحقها. ونحن نحاول أن نشير إلى الاطراد في الموقف السياسي، وإذا ادعى بوش أن الرجولة هي حول إقدام المرء وتحمله مسؤولياته، في الوقت الذي يكون فيه مختبئاً بعيداً عن مسرح الأحداث، فإن أقواله لا تتفق مع أفعاله.

إنني أعتقد أنه يجب مواجهة السيد بوش بهذه القضية. وأن القيام بذلك هو أمر صائب مائة بالمائة، وأن هناك علاقة بين استغلال فكرة "الرجولة" ورموز الهيمنة من خلال المؤسسة العسكرية وحقيقة الادعاء بأنك قائد العالم الحر لأنك تقول بأنك تملك خبرة عسكرية، ثم يتبين لنا أنك كنت تغيبت عن أداء واجبك في الخدمة العسكرية. لم تذهب إلى وحدتك لأداء واجبك. وهناك أيضاً خلل في القصة التي قدمتها إلى الإعلام. "لقد كنت هناك...أنظروا، إن لي ذكريات في ذلك المكان... إنني أذكر أنني كنت هناك." وكأننا أمام حالة من مرض آلزهايمر (الخرف) التوقعي. أو ربما هي من قبيل اللعثمة الأخلاقية. ولكنك تقرأها بالعكس.

ما يجب علينا قوله للسيد بوش هو:"عليك أن تواجه ما قلته." إذا نظرت إلى الجنود، فستجد نسبة عالية من السود، والفقراء من البيض والأجناس الأخرى الذين يخدمون في الجيش. أعني أن الحقيقة الوحيدة التي يمكن أن نستشفها من قصة جسكا لينش هي أن أعداداً كبيرة من الفقراء البيض يلتحقون بالجيش للأسباب ذاتها التي يلتحق لأجلها السود بالجيش منذ سنوات عديدة. إنهم يحاولون الخروج من الغتو. لقد استخدموا الجيش لحفز تحركهم إلى الأعلى في المجتمع. هذه هي القضية، ولم يكن التحاقهم بالجيش مدفوعاً بأسباب أيديولوجية عسكرية لتدعيم الإمبراطورية الأمريكية. لا، إنها مدفوعة بتردي أوضاعهم الاقتصادية إلى درجة لم تترك أمامهم كثيراً من الخيارات للحصول على تعليم سوي ووظيفة محترمة.

جيرمي إيرب: ما الذي تعنيه هذه الانتخابات بالنسبة لك؟ لأن هناك أشخاصاً يميلون نحو اليسار ولكنهم يقولون بأن العمل يجب أن يكون في مكان آخر، وينبغي أن لا ننخدع بالتفكير بأن انتخاب مرشح من الحزب الديمقراطي سيحدث أي تغيير في هيكل النظام؟

Obeikandl.com

إن مما لا شك فيه أن لهذه الانتخابات أهمية كبيرة. علينا أن نخرج إلى الشارع لنعرب عن مواقفنا، وما كان لي أن أحظى بوظيفتي الحالية في هذه الجامعة المرموقة لولا أن أشخاصاً مثل مارتن لوثر كينغ وأبراهام جوشوا هيشل وغيرهم من الأمريكان المهتمين خرجوا إلى الشوارع حتى لا تبقى امتيازات الديمقراطية في أيدي الأشخاص الذين كانوا يعملون ضد مصالح السود والأقليات. والتصويت في الانتخابات هو الشيء الصحيح. إنه أمر ضروري، وهو ممارسة ديمقراطية لأن كل مواطن يستطيع المشاركة في هذه العملية.

وهذه الانتخابات هي في غاية الأهمية، ليس لما يمثله جورج بوش في وعيه السياسي وحسب. إنها معركة حول الطريقة التي تعمل بها العالم، ومن يملك فرصة تسييره، ومن يملك الكلمة الأخيرة في تسييره. وبالطبع أن المرشحين ليسوا على درجة من الكمال. إنها كمن يقول لي بأنهم لا يرغبون في المجيء إلى الكنيسة لوجود منافقين فيها. فأقول لهم:"حسناً، يوجد دائماً متسع لشخص زيادة. تعال وشاركنا"، وهؤلاء الذين يقولون بأن السياسة فاسدة، فأقول لهم، حسناً تعالوا وشاركونا ويمكنكم أن تكونوا جزءاً منها. السياسة تتعلق بالمناقشات حول توزيع الموارد. هذه هي السياسة في إحدى مستوياتها. فلا تعتقد أنها لا تهمك. إنها تهمك إذا كنت تهتم بنوعية الماء الذي تشربه، ونوعية الهواء الذي تتنفسه، أو نوعية الإرهابيين الذين سيكونون حولك. إنها تهمك إذا كنت مهتماً بالعرق، والطبقة، والجنسوية. إنها في غاية الأهمية. وعلينا أن نصوّت. وكما يقولون في شيكاغو: صوّت مبكراً وصوت كثيراً.

فيلادلفيا

11 فبراير، 2004

✾ ✾